الوزارة الميمية الثانية

إنها ميمى هانم زوجة واحد من المستوزرين فى عصر مضى وفات ، وهى كذلك صديقة مستوزر آخر فى العصر الذى مضى وفات .

لقد ألفت وزارة . وعندما لم تعجبهم قامت بتأليف وزارتها الثانية .

وهكذا كانت تقوم وزارات وتسقط وزارات .

كان كل شيء مطبوخاً ومتفقاً عليه . . ولكن لابد من المسرحية . .

فى الساعة العاشرة والربع صباحا ، وقفت على باب فيلا سعيد خيرى باشا بالزمالك سيارة ليموزين سوداء طولها سبعة أمتار أصيلة . . كان سعيد خيرى باشا فى انتظارها ، كان ينظر من شق ستار النافذة وقد لبس أحسن ماعنده . . فى الدور الأعلى من الفيلا نفسها كانت حرم الباشا أمينة هانم شلبى جمعة – أو ميمى هانم تنظر هى الأخرى من شق الستار . كانت هى الأخرى تنتظر السيارة الليموزين الأصيلة التى طولها سبعة أمتار .

ووصلت السيارة الموعودة وانفتح باب الفيلا . وظهر الباشا فى بذلته الكحلية الأنيقة ، وأسرع يهبط السلم الصغير المؤدى إلى ممشى الحديقة الموصل إلى بابها الحديدى المشغول ، فالتقى فى منتصف الممشى بالسيد الجليل ذى البذلة السوداء والطربوش الأحمر الداكن ، الذى هبط من السيارة وأهلّ على الباشا كما تهلّ الرحمة على المَرْضِيِّ عنهم من عباد الرحمن . .

وقف البواب النوبى بعمامته البيضاء الناصعة وقفطانه النظيف كالفل ، وقد انفرجت شفتاه عن أسنان فى بياض قفطانه وأخذ يتأمل فى سرور سيده الباشا وهو يعانق هذا السيد العظيم الذى هبط الآن من السماء . . وسار مندوب العناية الإلهية رافع الرأس تنسدل عليه بذلته الفاخرة لا تشوبها كسرة أو ثنية ، كأنه تمثال شمع

خرج من (فترينة) محل ملابس ليشم الهواء ثم يعود ، وسار إلى جانبه سعادة الباشا يتدحرج ويلاحقه كأنه مربوط بسلسلة فى يده . .

ودخل الرجلان بهو البيت الذى أنارته فى عز النهار نجفة أمبريال فخمة ، تألق تحت ضوئها طقم مذهب كبير لوى كانز ، وبدت الشخوص المرسومة على الجوبلان فى الطقم المذهب وكأنها هى الأخرى ترحب بالزائر العظيم ، ومن البهو دخلا إلى الصالون الواسع على اليمين ، حيث اصطف طقم إنجليزى الطراز ثقيل الكراسى ، فوق سجادة عجمية كاشان أصلية ، وصلت إلى الفيلا مع الطقم والنجفة المتدلية من السقف فوقها أمس مساء لهذه المناسبة ، بعد أن دفعت أمينة هانم ٣٠٠ جنيه من ثمنها ، هى كل ما استطاعت الحصول عليه ، والباقى أول الشهر . .

وجلس المندوب فى تؤدة وعظمة ، ومدّ ساقيه إلى الأمام فجاء حذاؤه تحت النجفة تماماً ، فانعكست مصابيحها فى جلد مقدم الحذاء اللامع . . وخلع طربوشه الأحمر الداكن ، وأخرج منديلا معطراً بكولونيا فرنسية خفيفة ، فمسح عرق الغافية ونفخ صدره . . وقال الباشا :

– أهلا وسهلا . . خطوة عزيزة .

ودون أن يلتفت المندوب إلى الباشا الذى جلس على طرف الكرسى المجاور قال له فى وقار :

– مرسيه . . متشكر . . مرسيه . .

– زارنا النبى .

وتناول الباشا علبة سجاير فضية ففتحها وقدمها إلى المندوب – وهو أحد أمناء القصر – فتناول منها واحدة أشعلها له الباشا . .

وبعد ثوان مقدرة بحساب التفت الزائر إلى الباشا الذى كان ينظر إليه نظرة متسول ، وقال :

– مبارك يا دولة الباشا . .

ومع أن كل شىء كان مطبوخاً ومتفقاً عليه من أمس ، فإنّ عبارة « دولة الباشا » أحدثت فى داخل سعيد خيرى باشا دويًّا أشد من دوىّ الحربين العالميتين ، فدار رأسه لحظة وتسارعت ضربات قلبه ، وخيل إليه أنه فقد صوته . . وفى أثناء بحثه عن صوته ، كان الزائر العظيم يدور ببصره فى أرجاء الحجرة . . وجد الباشا صوته فى قاع صدره فأخرجه بجهد ، وقال وهو يتهدج :

– الله يبارك فيك . . الله يبارك فى مولانا ويحفظه للوطن ويجعلنا من رجاله المخلصين . . يا ألف نهار أبيض . .

ومن حافظة أوراق جلدية سوداء أنيقة كان الضيف قد وضعها بعناية على رخام المنضدة الصغيرة ، أخرج ظرفاً أبيض فى ركنه التاج الأخضر وناوله الباشا ، فأخذه هذا فى تقديس كأنه يمس اللوح المحفوظ ، وفتحه وقرأ الخطاب التقليدى الذى لا يصل إلاّ إلى المسعدين جدًّا من أهل هذا البلد . .

« عزيزى سعيد خيرى باشا »

لما لنا من الثقة الغالية فى إخلاصكم ووطنيتكم ، فقد ارتأت إرادتنا السنية أن نعهد إليكم فى تشكيل الوزارة ، إيمانا منا . . إلى آخره . . إلى آخره . .

وزاغت عينا الباشا وهما تقرآن السطور القليلة التى حملها هذا الخطاب الرفيع ، ومرت أمامها سحابة ، وعاد الدوار إلى رأسه . . وخطرت بباله صورة المرحوم والده كاتب المحكمة فى بذلته السوداء الكالحة المتآكلة . . وربتت يد الضيف على ذراع الباشا وقال :

– موفق بإذن الله .

وأقبل سفرجي أنيق قد لف عمامته على رأسه لفًّا فنيًّا محكماً ، وانحنى بالقهوة ، وتناول الضيف الفنجان ووضعه على المنضدة أمامه ، ثم أفاق الباشا من غيبوبته وقال :

– اتفضل سعادتك ..

وقال الضيف :

– مولانا يقدركم تقديراً خاصًّا يا دولة الباشا

– وأين نحن من ذلك التقدير السامى يا سعادة البك ؟ . . نرجو أن تبيض وجوهنا أمامكم . . والله ، منذ خرجت من القصر ليلة أمس لم يغمض لى جفن ، خوفاً من المسئولية الكبيرة . . ومولانا يضرب لنا مثلا لا يمكن مجاراته ، ونحن نجتهد ، ولكن فين ! فين !

وعاد المندوب يقول بصوت سيده :

– عشمنا كبير ، وثقة جلالة الملك تصنع العجائب . .

وبينما كان لسان الباشا يلهج بالحمد والشكر ، والدعوات تتدفّق سيلا من شفتيه – كأنه شحاذ على باب السيدة جادت عليه يد كريمة ساذجة بنفحة جاوزت كل أمانيه – امتدت أنامل أمجد بك أبو شنب فضة إلى فنجان القهوة فقرّبته من الشفتين القرمزيتين ، وسمحت للقهوة بأن تمسها مسًّا رقيقاً ، ثم عاد فنجان القهوة إلى مكانه ، وارتفع كوب الماء الكريستال ، وحظى هو الآخر بلمسة من الشفتين القدسيتين . . ثم خرج منديل أبيض ليُنوهْ مهفهف فمسح جوانب الفم الرقيق ، ثم ضربت اليد على الفخد ، وقال أمجد بك :

– أستأذن أنا الآن يا دولة الباشا ، لديك عمل كبير . .

– لسه بدرى . . الحق أننى كنت أنتظر منك بعض التوجيه . .

– العفو يا دولة الباشا . . العفو . . رجائى كأخ وصديق لك أن تسرع بتأليف الوزارة . . مثلا . . بعد الظهر يكون كل شىء قد تم .

– لماذا ؟ . . هل سمعت شيئاً ؟ . .

– لا . . لا . . بس . بحسب تجربتى وتقديرى الكبير لك شخصيًّا ، السرعة لها أهميتها . . يقول المثل الإنجليزى :

اطرق الحديد وهو ساخن . .

– شكراً يا أمجد بك . . ربنا لا يحرمنا حبك وجمايلك . . القلوب عند بعضها . . هل هناك توجيهات أخرى ؟ . .

– لا . . مفيش . . لكن . . هل فكرت فى أحد لوزارة الأشغال ؟ . .

– لسه . . فيه أوامر من مولانا ؟ . .

وهنا تحول صوت المندوب المُتعالى إلى صوت متسول أيضاً ، ولكنه متسول أرستقراطى متكبر يشحذ فى أمر ويستجدى بكبرياء ، قال :

– أقصد لابد أنك سمعت عن أخى نهاد المهندس . .

– طبعاً . . من لا يعرف المهندس الكبير نهاد بك أبو شنب فضة ؟ . . إنه الآن فيما أظن – مدير شركة فنادق الوجهين . .

– أيوه . . ولكننا نريد أن نفيد منه كمهندس . . خسارة البلاد لا تستفيد من شاب كهذا خريج جامعة بروكسل هذا دم جديد لوزارتك . .

وبدون تفكير اندفع سعيد خيرى باشا فى تيار المجاملة وقال :

– على العين والرأس المهندس نهاد وزير أشغال . . بإذن الله . . هل السراى موافقة على هذا الترشيح ؟ . . فانزعج الأرستقراطى المنشى وقال :

– لا . . لا . . السراى لا دخل لها فى ذلك ، نحن رجال السراى بعيدون عن السياسة . . ولكنى قلت لك ذلك كأخ وصديق لك ولحزب التقدم . .

واستمر الكلام لحظات على هذه النغمة ، وجرت مراسم التوديع فى نظامها البديع . وانطلقت السيارة الليموزين السوداء ، وراكبها يُحيىّ فى وقار على طريقة الملك عندما يحيى رعاياه من عباد الله . .

وعاد سعيد خيرى باشا إلى داره ، ووقف فى البهو عاجزاً عن التفكير . ثم دخل الصالون وأخذ الظرف ففتحه ، ومضى يقرؤه مرة بعد أخرى ، كأنه يتعوّذ بآية الكرسى . . واقتحم الباب نور السفرجى فتناول يد الباشا فلثمها وأخذ يهنئ . . وجاءت من المطبخ زهرة الطبّاخة وأطلقت زغرودة . . ودوت الزغرودة فى الشارع الهادئ الذى تزينه الأشجار الجميلة ، وسمعها راغب باشا جعفر رئيس الوزراء القديم – إنه الآن فى الثمانين من عمره لا يكاد يتحرك ، وهو جار سعيد باشا وشريكه فى عبادة السراى – فحسب أن الزغرودة إعلان زواج ، فنادى خادمه النوبى وقال له :

– شوف يا إبراهيم . . من سيتزوج ؟

وهز رأسه وقال لنفسه :

– هل هذا وقت زواج أو زغاريد ؟ . . خلاص . . الناس الطيبون راحوا ومضى زمانهم .

* * *

ووصلت الزغرودة إلى أذنى ميمى هانم . فهزت إحدى كتفيها وابتسمت . ثم جلست على كرسى وثير ، ووضعت ساقاً على ساق . . وأحست بالسيجارة تلسع أصابعها ، فأطفأت العقب الباقى منها ، وأشعلت سيجارة أخرى فى كسل ، ونفثت

الدخان . . ووقع بصرها على صورة لزفافها على سعيد خيرى فابتسمت وهى تتأمله إلى جانبها بطربوشه الطويل وشاربه الذى يظلل شفتيه . . ثم حولت وجهها عن الصورة فى سأم ونظرت إلى صورة أخرى معلقة على الحائط دون برواز . . إنها لسامى أمين المغنى المشهور . محسوب الست ، ذلك الكلب اللولو المدلل الذى يسمونه مغنى الهوانم ، ومدت رجليها السمينتين على كرسى أمامها . . من تحت شلتة الكرسى برز طرف ورقة . . ابتسمت . . إنه خطاب من يحيى قدرى باشا . . صديق العمر . . ودق جرس التليفون الخاص إلى جوارها . . كشابة صغيرة نهضت وأغلقت الباب جيداً ، ثم عادت ورفعت السماعة وقالت فى صوت خافت :

– يحيى ؟ . . ابن حلال . . كنت سأطلبك . . أيوه . . خطاب التكليف وصل . .

وخفضت صوتها أكثر ، حتى لم يعد يسمع منه شىء . . ومضى الحديث على حين أنّ رماد السيجارة يتساقط على الأرض . .

* * *

ذهب الخدم كل لشأنه ، وفى البهو الفسيح جلس الباشا وقد لفه الصمت . . أصبح الآن صاحب دولة . ابتسم لنفسه ابتسامة عريضة ، والله وأصبحت رئيس وزارة يا أبو السعد ! عملتها وألف عفارم عليك . . سبقت الكل يا عفريت ! هل تذكر لما تخرجت فى كلية الحقوق آخرالدفعة ؟ . . كنتُ فقيراً حقيراً تذرع القاهرة من أقصاها إلى بيتكم فى زقاق الحجاج فى شارع خيرت على قدميك ، لأنك لم تكن تملك ستة مليمات للترام . . ثم التحقت بمكتب الأستاذ رشدى خطاب المحامى . . واشتغلت له كاتباً وسكرتيراً وخادماً . . عند العودة من المحكمة كان يعطيك تعريفة لتشترى له خمس سجاير ماركة الفيل ، لأنه كان يخجل أن يشترى

بتعريفة سجاير ، أما أنت فصعلوك حقير لا يخجل . . وعندما تأتيه بالسجاير كان يعطيك واحدة تدخنها فى لذة وأنت جالس بعيداً عنه كالكلب . . كانت أياماً سوداء . . ولكن الأستاذ رشدى كان رجلا طيباً . . كان يريد أن يزوجك ابنته تهانى ، ولكن كل شىء قسمة ونصيب . . ليتك تزوجتها ، فهى على أى حال أحسن من الحدأة الجاثمة فوق أنفاسك اليوم . . وإلى أن تموت . .

ونظر إلى أعلى ، وأراد أن يبصق على الأرض ، ولكن السجادة كانت جديدة . .

. . ثم انتقلت إلى مكتب الأستاذ لبيب القبانى ، المحامى بالنهار والصحفى بالليل . . عن طريقه دخلت ميدان الصحافة والسياسة . . وعندما رشح نفسه على مبادئ حزب الأمة عن دائرة السلخانة أهلكت نفسك حتى نجح . . كم خطبت وكم جريت فى الشوارع توزع إعلاناته الانتخابية التى تحمل صورته الكريهة . . ثم نجح ، وعن طريقه دخلت موظفاً فى إدارة المطبوعات ، كان ذلك بداية سعدك وبداية نحسك أيضاً . . مضيت تخطف الدرجات خطفاً حتى أصبحت مديراً للمطبوعات ، وهنا تزوجت هذه المصيبة . . يا لها من مصيبة . .

كانت حضرتها ابنة شلبى بك جمعة وكيل الوزراء . . دعاك إلى حفل عشاء فى داره ، وهناك رأيتها . . كانت جميلة حين ذاك . . وقعت فى غرامها أول ما رأيتها . . بعد أيام وافقت على الزواج . . عرفت بعد ذلك أنهم كانوا يبحثون لها عن زوج ليغطوا على الشقاوة والصرمحة والجرى مع ممثل معروف فى شارع عماد الدين . . كان يمكنك أن ترفض ، ولكن طموحك دفعك إلى الأمام . . نسيت كل شىء لأنهم وعَدُوك بدرجة وكيل وزارة ، فطار عقلك . . ولكنك لا يحق لك أن تشكو أو تحتج . . لقد سعدت معها سنوات ، ولعبت وشربت وأكلت . .

وعندما صار أبوها وزيراً أخذك فى رجليه فجعلك وكيلا برلمانيًّا لوزارته . . وزارة التجارة والصناعة . . كانت إذ ذاك وزارة جديدة . . هناك بدأت اتصالاتك بالأحزاب وبالناس الكبار . . بالدوائر العليا . . عرفت كلوب محمد على ودار المندوب السامى . . وجاء ابنك البكرى ، وكبر . . وجرى فى طريق أمه ، فتعثر فى المدرسة الثانوية ثم فى كلية الآداب ، وأصبح مأساة . .

* * *

ثم نهض وأشعل سيجارة واقترب من النافذة . بعد قليل رأى سيارة تقف عند باب الفيلا ، ويفتح بابها فيخرج منه توفيق كمال سرى باشا الوزير السابق . .

وتهلل وجه سعيد خيرى باشا . .

إن توفيق كمال سرى باشا هو العضو الثانى فى حزب التقدم الذى أنشآه معاً . . الحزب المثلث كما يسميه الكاتب الساخر محرر مجلة « آخر الزمن » الهزلية . . وهو مثلث لأنه كان يتألف من ثلاثة أعضاء ولا زيادة سعيد وتوفيق والشيخ سليم تعلب المغربى . . ذلك الشيخ العجيب المضحك المبكى الذى لا تدرى عندما تراه لماذا تملأ نفسك الرغبة فى أن تصفع أو تركل أو تبصق . .

وتعانق الرجلان طويلا ، وضرب كل منهما على ظهر صاحبه بدل المرة مرات :

– ألف مبروك يا أبو السعد ، يا أبو الوزارات ، ألم أقل لك إنك قريباً ستكون صاحب دولة ؟ . . بلى صاحب دولة ودول كمان . . ألف مبروك على البلد ، وعليك وعلى الحزب ، وعلينا . . ها هى ذى قد جاءت وزارة السراى ، وزارة أصحاب المصالح الحقيقية . . والله لابد أن تظل فى الكرسى عشر سنوات متوالية حتى تنظف البلد .

وابتسم سعيد خيرى لصاحبه ، وتركه يشعل له سيجارة ، ثم يقول له وكأنه

يناجى نفسه :

– والله كانت فكرة جهنمية . . فكرة حزب التقدم . . أخذناها وهى طائرة . . الله يرحمك يا مهدى باشا . . أنت صاحب الفضل . . أوحيت لنا بالفكرة ونحن فى آخر الليل على ترابيزة قهوة الرتيز فى شارع الألفى . . السراى عاوزة حزب . . يكون بتاعها . . كان أيامها وكيل الديوان . . وكان يحب الكأس . . ضرب على كتفك بيد مخمورة وقال : لماذا يا سعيد باشا لا تؤلف أنت حزب السراى وتسميه حزب التقدم ؟ . .

ودون تردد قلت له : مستعد . . بس لكى أكون رئيس حزب محترم ، لازم أكون وزيراً أولا . . لابد أن أدخل دنيا الوزراء . .

فقال لك : وإيه يعنى ؟ . . مولانا يعينك وزيراً فى الوزارة الجايه . .

وأصبحت يا أبو السعد وزير زراعة . . و

ودارت عجلة الأيام . .

هنا دخل زكى بسيونى ، ذلك التعس الذى يحرر لهم جريدة « النور » لسان حال الحزب من أولها إلى آخرها . . إنها الآن تصدر أسبوعياً وفى أربع صفحات ، لمجرد المحافظة على ماء الوجه . . وهذا المسكين يكتبها لهم لقاء عشرة جنيهات يدفعونها له بالعافية – إنه خريج آداب ضربته الشمس فحال لونه . . اشتغل مدرساً ، ثم جاء ليعطى ابن سعيد باشا درساً خصوصيًّا ، انتهزوا الفرصة وزوجوه وجيدة ابنة أخت أمينة هانم . . كانت حكيمة فى القصر العينى ، وحفيت قدماها من الجرى وراء الأطباء . ولكن أنفها المحدب الطويل كان مانعًا لا يمكن أن يقفز عليه أى فارس . . إنها طويلة رفيعة العنق كأنها فرخة شركسية . . ابتلوه بها . . وخدعه الطمع . . نقله سعيد باشا مديراً لمكتبه فى وزارة الزراعة ثم راحت الوزارة

ففصلوه . . ومن يومها وهذا التعس وأولاده الأربعة من الفرخة الشركسية يتضورون جوعاً . .

دخل زكى بسيونى ووقف صامتاً لحظة . . ثم تهلل وجهه وتقدم فصافح الباشا وقبل يده ثم أخذ ينحنى . . كان طويلا نحيلا مثل زوجته ، وكل ما فيه يتحدث عن سبع سنوات عجاف . .

نظر إليه الباشا وقال :

– أدخل الآن يا زكى إلى غرفة المكتب واجلس جنب التليفون . . أنا لست هنا إلا إذا جاء التليفون من السراى . . لا أريد أحداً . . وخصوصاً الصحفيين . . لا أريد أن أكلم احدا منهم إلا بعد أن ننتهى من تأليف الوزارة ونعلن برنامجنا على الشعب . . نبه على البواب والسفرجى والخدم . . لا أريد صحفيين ولا غير صحفيين . . لابد أن ننتهى من تأليف الوزارة اليوم . . الأمة تنتظر ، والبلاد تمر بمرحلة من أحرج مراحل تاريخها ، ونحن نريد أن ننقذ الموقف . . وزارتنا ستنقذ الوطن وتصنع الرخاء .

ومضى زكى لينفذ الأوامر ، ونظر سعيد خيرى باشا إلى صاحبه توفيق كمال سرى وقال :

– ما رأيك ؟ ماذا نعمل له الآن ؟ . . نعينه رئيس تحرير « النور » أم آخذه مديراً لمكتبى ؟ . .

فضحك توفيق وقال :

– ارحمه بقى يا سعيد . . ارحمه من هذه الصحافة التى أهلكته . . لقد نحل وبر المسكين من الذل والسلف . .

إله مدين للدخاخنى والبقال والجزمجى . . جريدتنا عاشت هذه السنوات على

دمه . . من يوم أن سقطت وزارة علام باشا والمسكين لم يأكل وجبة كاملة . . والبركة فى بنت أخت ميمى هانم الله يسترها . . خذه مديراً لمكتبك واعطه الدرجة الأولى ثم مديراً عامًّا . . مسكين ، لم يبق بينه وبين السل إلا فركة كعب . .

ونظر سعيد خيرى فى ساعته وقال :

– يا خبر . . الوقت يفوت بسرعة . . لابد أن نؤلف الوزارة . .

– هل فكرت فى أسماء ؟ . . فكر قليلا واكتب بعض الأسماء حتى أعود ، أنت تعرف أصحابنا كلهم . . وسار سعيد إلى غرفة المكتب ، وأخرج منها زكى بسيونى وأغلق الباب خلفه ، بعد أن أمره ألا يسمح لأحد بالدخول . .

ورفع سماعة التليفون وأدار رقماً ، وجاء الصوت من الطرف الآخر جريئاً قوياً . . كان صوت المسيو روجيه رئيس مجلس إدارة بنك الأراضى والضمان ، كان يتكلم بالعربية حيناً وبالفرنسية حيناً آخر . . قال :

– أهلا . . أهلا . . دولة الباشا . . ألف مبروك . . والله فرحنا لك جدًّا . . نحن سعداء . . أن يصبح أحد أعضاء مجلس إدارة بنكنا رئيساً للوزراء . . حاجة عظيمة جدًّا . . مجلس إدارة البنك سيرسل لكم بعد الظهر برقية . .

– شكراً . . شكراً . . أنا واثق من إخلاصك يا مسيو روجيه . . أنا متأكد . .

– نقدر الآن نطمئن إلى أن مقاولة توسيع المينا سترسو على شركة روش وشركاه . . أنت تعرف أنها شركتنا . . نحن نمولها . . أقصد أنها شركتكم وكل ما فيها تحت تصرفك .

– اطمئن من هذه الناحية . . اسمع يا روجيه . . أنت تعرف أننى لا بد أن أستقيل من مجلس الإدارة . .

– مفهوم ، ولكن مكانك سيظل شاغراً إلى أن تعود . . والمكافأة ستستمر . .

– أظن أنه لا لزوم لا ستمرار المكافأة فى أثناء الوزارة . .

– ليه يا حبيبى ؟ . . تستمر قطعاً . . سنأخذها من روش وشركاهم ، أقصد أنهم سيحولونها إلينا شهراً بشهر ، ونحن نحتفظ لك بها تحت الطلب . .

– شكراً . . شكراً . . كما تريد . . والسلفة ؟

– لا تفكر فيها . .

– كيف لا أفكر فيها ؟ . . إنها ٣٨٠٠ جنيه

– مش حاجة . . مش حاجة يا باشا . . خمسة آلاف . . ستة آلاف . . بسيطة بتوع روش يدفعون . .

– إذن ليجعلوها عشرة آلاف ويرسلوا إلىّ الباقى . . إن المقاولة تزيد على مليون ونصف مليون جنيه . . ورقم حسابى عندكم . .

– أمرك يا دولة الباشا . . وأيضاً لدينا هدية للهانم . .

– لا لا . . بلاش الهانم . .

– كيف ؟ . . لقد كلمتنى قبل دولتك وطلبت ٤٠٠٠ جنيه . .

– ٤٠٠٠ جنيه ؟ لماذا ؟ . .

– برضه علشان الأشياء التى اشتريتموها للبيت . . وقد اتصلت . .

– بشركة روش وشركاهم ؟ . .

– لا . . بمحل هرارى ، وحلفون . . أنتم تعرفون أنهم يمولون شركة المشروعات الفنية . .

– بتوع الشبكة الكهربائية ؟ . .

– برافو . . دولتكم على علم بكل شىء . .

– طيب . . كفاية بقى الهانم ، كفاية جداً . . من هنا وطالع لا شىء عن طريق

الهانم ، كل شيء عن طريق أنا . .

– مفهوم يا باشا . . غداً تكون بقية عشرة الآلاف فى الحساب . . والسلفة . . خلاص ، شطبناها . . بس . . لى طلب عند دولتكم . .

– بكل سرور . . بكل سرور . .

– قصدى ، أنت تعرف المهندس سليمان بك شكرى . .

– سليمان شكرى ؟ لا لا يا مسيو روجيه . . أنت تعرف الفضيحة التى عملها فى مشروع الكوبرى . . لا لا يا مسيو روجيه . .

– يا دولة الباشا إنه مظلوم ، كلكم تعرفون من المسئول عما حدث . .

– يمكن أنا أعرف ، ولكن الناس لا يعرفون إلا ما نشرته الصحف وما قيل فى مجلس النواب . . هذه أول مرة يتولى حزبنا وزارة . . واسم كهذا يسىء إلينا . .

– قصدى . . يعنى أن بتوع شركة هرارى وحلفون عينوه رئيس مجلس إدارة . . ولا بد من إمضائه على السلفة . . . وإذا كنت تريد ممكن رفعها إلى ٢٠٠٠٠ قبل أن يترك مجلس الإدارة إذا كان سيدخل الوزارة . .

– طيب . . لكن بس . . وزير مرة واحدة ؟

– مش حاجة . . خدوه وزير دولة . . أنت تعرف أننا بعد ذلك يمكن أن نقف دائماً وراء الحزب . .

– طيب يا مسيو روجيه . . والله فقط لأجل الحزب . . والله لولا الحزب وجريدة الحزب ولولا أن السراى تريد أن نستمر لما كان ذلك ممكناً . . اتفقنا . . متى تحولون المبلغ لحسابى ؟

– تحت أمرك يا دولة الباشا . .

– الآن . . الآن أرجوك . . أريد أن يتم ذلك كله قبل أن تتألف الوزارة . .

أنا الآن حر أعمل ما أريد . . ولكن بعد الظهر ، وبعد أن يصدر مرسوم تأليف الوزارة أصبح شيئاً آخر . . أنتم فاهم يا روجيه . .

ووضع السماعة وتنفس الصعداء وابتسم لنفسه . . لقد دفعت الديون وامتلأ الحساب من جديد وهذا أول الغيث . . ما ألذ الحكم ! وما أحلاه . . !

من وراء الباب ترامى صوت توفيق كمال سرى باشا :

– يا دولة الباشا كفاية بقى . . الوقت يمضى والسراى تنتظر . .

* * *

وعاد دولة الباشا إلى البهو . . كان زكى بسيونى ينتظر قرب الباب ورأسه على صدره ، أمره سعيد خيرى بأن يتسلم التليفون ولا يسمح لأحد بالاتصال به إلا إذا كان المتكلم من السراى :

– قل لهم إنى سافرت دون أن أقول إلى أين لكى أفرغ من تأليف الوزارة فى هدوء . . قل لهم : إن التشكيل سيقدم إلى السراى مساء اليوم . .

وقال توفيق باشا :

– اتفضل بقى يا دولة الباشا . . اجلس يا رجل . . اجلس . . الدنيا مقلوبة فى الخارج ونحن لم نفعل شيئاً بعد . . لقد أعددت لك بضعة أسماء . . مجرد أسماء والرأى لدولة الباشا طبعاً . . فجلس سعيد خيرى فى تؤدة وأشعل سيجارة وأمسك بالورقة وقال :

– أنت تعرف المسئولية الملقاة على عاتقنا ، إن السراى والبلد كلها تعلق على وزارتنا أهمية أكبر . . لقد فشلت الأحزاب كلها ، وفشل المستقلون أيضاً ، فى سياسة البلد . . مولانا قال لى أمس إن حزبنا هو أمله الوحيد . . لا بد من القضاء على التهريج السياسى والانتهازية والوصولية . . البلد على وشك الثورة وأصحابنا

مشغولون بمصالحهم . .

وسكت لحظة ثم خفض رأسه وقال لى هامساً لصاحبه :

– شوف يا توفيق . . هذه هى الفرصة الذهبية لحزبنا . . نريد أن نوسع نطاق حزب التقدم حتى يفوق حزب الأمة . . سنحل البرلمان ، ونجرى انتخابات جديدة ، ونخرج بأغلبية ٩٩,٥ فى المائة . . لسنا أقل من غيرنا . . إسماعيل باشا عمل كده فى حزبه وخرج ببرلمان مخلص له ١٠٠ ٪ . . نحن سنضرب رقماً قياسيًّا . سنعمل ذلك فى ثلاثة أشهر فقط . . حزب التقدم هو حزب الأغلبية الواعية الرشيدة . .

وتنفس فى عمق وبطء وقال :

– فهمت ؟ . . هات ورقتك لنرى ما فيها . . من رشحت ؟ . .

ونظر فى القائمة وقال :

– ما هذان الاسمان ؟ . . ماذا يعملان هنا ؟ . .

– والله . . هذان من ناحية المندوب السامى . .

– اتصل بك ؟ . .

فقال توفيق فى تردد : نعم . . .

– لا يا توفيق . . أنا أعرفك جيداً . . أنت الذى اتصلت بهم . . (فى غضب) توفيق . . أنا قلت لك ألف مرة اقلع عن هذه الألاعيب . . من رئيس الحزب ؟ أنا أم أنت ؟ من رئيس الوزارة ؟ أنا أم أنت ؟ مالك والمندوب السامى ؟ . . ومنذ متى أنت تتصل به ؟ . .

– الحق أن الذى اتصل به هو الشيخ سليم . .

– (فى غضب بالغ) سليم تعلب المغـربى . . هذا الكلب أيضاً يتصل

بالمندوب السامى ؟ . .

– يا باشا إنه العضو الثالث المؤسس للحزب ، وعضو اللجنة التنفيذية . .

– يا توفيق حرام عليك . . حرام عليك يا توفيق . . هل تسخر منى أو من نفسك ؟ . . أى لجنة تنفيذية ؟ تعلب الكلب هذا عضو لجنة تنفيذية ؟ . . لماذا ؟ هانت الدنيا إلى هذا الحد ؟ . . لقد انتهى هذا كله منذ الأمس وأصبحنا فى دنيا (ثانية) . . دخلنا فى الجد ، وأمثال الشيخ تعلب لا ينبغى أن يكون لهم عندنا وجود من الآن . . هذا السكير الصعلوك . . مضحك المستر سمارت . . ألا تعرف سيرته ؟ . . اليوم ونحن رؤساء وزارة يجىء هذا الشحاذ ليفسد علينا الأمر ؟ . . ألست تعرفه أكثر مما أعرف ؟ . . هل أنت فى حاجة لأن أعرفك به ؟

– ولكنه عضو معنا فى الحزب . .

– كان (زمان) . . اليوم تغيرت الدنيا ، وهذا الشيخ تعلب لابد من فصله . . يا أخى . . نسيت أن الناس يسمونه الشيخ تعلب سكوتش لكثرة ما يشرب الويسكى ؟ . . ألا يسميه المستر سمارت « شيك هوايت فوكس » بسبب غرامه بويسكى هوايت هورس ؟ . . يا توفيق . . الدنيا تغيرت . . وهذه الزبالة لا بد أن تظل مكانها فى صندوق الزبالة . . !

– بس . . طيب طيب يا دولة الباشا . . فهمت !

فاستمر سعيد باشا خيرى يقول فى حدة :

– أنا أعرف ماذا تريد أن تقول . . أنت صاحبه وتحبه لأنه صاحبك فى السهر والصرمحة . . تريد أن تقول : إن الحزب كله صفيحة زبالة ؟ سمعنا ألف مرة هذه الحكاية . . كفاية بقى . . الزبالة كانت الشيخ (تعلب) . . وسيظل وحده فى صفيحته .

– يعنى . . لن يدخل الوزارة ؟ . .

فقال سعيد باشا فى دهشة واستنكار بالغين :

– وزارة ؟ الشيخ سليم تعلب يدخل الوزارة ؟ هل جننت يا توفيق ؟ ماذا جرى لك ؟ . . الشيخ تعلب مسخة الصحافة . . ومهرج دار المندوب السامى . . يصبح وزيراً ؟ ماذا يقول الناس عنا ؟ . .

وسمعا صوت باب يقفل فى أعلى السلم المؤدى إلى الدور الثانى ، ثم بدت ميمى هانم . . أمينة هانم أقصد . . اسمها الكامل أمينة شلبى جمعة ابنة وكيل وزارة الداخلية لشئون المطبوعات سابقاً . . شجرة جميز طويلة عريضة بيضاء ذات شعر سابغ مصبوغ باللون الكستنائى كأنها بنت (أربعتاشر) . . أقبلت طولا فى عرض وقد تجلت ملامحها وسط وجهها العريض كأنه طبق صينى . . أعمال التجميل والتجديد والترميم والكاموفلاج ظاهرة فى كل لمحة فى وجهها . . معركة هائلة لإيقاف فعل الزمن . . هذه المرأة تحول بيديها القويتين بين ركام خمسة وخمسين عاماً وبين الانقضاض عليها وإخفائها تحت ركام الزمن . . من النظرة الأولى ترى أن هذه المرأة كانت جميلة ، وكانت فاتنة . . وفى نظر بعض هواة الآثار ما زالت كذلك . . أخيراً وصلت أسفل السلم وسارت تتهادى والسيجارة فى يد وعلبة السجاير والولاعة فى يد ، حتى انحطت على كرسى وثير أمام زوج الباشوات اللذين وجما عندما رأياها . . فى عدم اكتراث وهدوء نظرت إلى زوجها سعيد باشا خيرى ثم إلى صاحبه ، فابتسم كلٌّ منهما بدوره ، ثم نظرت إلى زوجها وقالت :

– قل لى بقى . . من الوزراء ؟

* * *

ونظر كلٌّ منهما إلى الآخر . . فى لحظة أحس كلٌّ منهما أن هذه المرأة سادت

الموقف . . واحد منهما زوجها ، أى فريستها إلى الأبد . . والآخر حاول أن يكون عشيقها فلم يوفق . . شكله لا يعجبها ، ظل بعد فشله يحس وكأنه كلب مضروب يسير وذيله بين ساقيه . . !

بعد لحظة صمت قالت :

– فين الأسماء ؟ . . تكلموا . .

وأمسك توفيق بالورقة وقال :

– هذه فقط اقتراحات . .

فقاطعته فى حزم :

– أنا أكلم زوجى . . زوجى هو رئيس الوزارة . . تكلم يا سعيد . .

فنظر سعيد باشا فى الورقة وقال :

– هذه مجرد تسويدة . . أسماء كنا اتفقنا عليها أمس ، ونحن الآن نعيد النظر فيها بعناية . .

– إذن هيَّا . . لماذا تأخرتم إلى الآن ؟

– كانت عندى مكالمة تليفونية هامة مع السراى . .

– أم مع مسيو روجيه ؟ . . ألا تذكر أبداً أننى أستطيع دائماً أن أسمع من حجرتى كل ما تقول هنا ؟ . . ماذا جرى لك يا حبيبى ؟ . .

وجلس حبيبها صامتاً ، ونظر إلى صاحبه كأنه يستفهم عمّا دار من الحديث مع مسيو روجيه . . ولكن ميمى هانم قطعت تفكيره وقالت له : قل . . ماذا كتبت فى الورقة ؟ . .

وتناول توفيق باشا الورقة من صاحبه ونظر فيها ثم إلى صاحبه سعيد باشا خيرى وقال :

– تسمح يا دولة الباشا ؟ . .

– تفضل . . تفضل .

– طبعاً دولتك للرياسة والداخلية والخارجية . .

– ونظر إلى ميمى هانم كأنه يستطلع رأيها ، فقالت وهى تحرك أصابعها دون اكتراث :

– قل بس قل . . قل كل ما عندك . .

فنظر فى القائمة ومضى يقول :

– على راغب محجوب للمعارف . . محمود سامى الجمل للمواصلات . . بدر الدين زكى السواح للزراعة . . جرجس شنودة أبو سيفين للأشغال . .

فقالت ميمى هانم :

– يعنى أتيتم بشلة العواطلية الذين يسكرون معكم فى سيسيل كل ليلة وأدخلتوهم الوزارة . .

فقال سعيد باشا :

– ليسوا عواطلية ولا حاجة يا ميمى . . هؤلاء جميعاً وزراء سابقون وناس لهم مكانة فى البلد . . ثم هؤلاء هم أصحابنا وحبايبنا وأنصار حزبنا الذين نثق فى إخلاصهم لنا . .

فقالت ميمى وهى تشعل سيجارة أخرى :

– قل لى أولاً . . هذه وزارة أم تكية أم برتيتة بوكر ؟ . . بدر الدين السواح هذا أليس زوج أختك ياسى توفيق ؟ ومحمود سامى الجمل أيضاً ، ماذا يكون ؟ . . أليس نسيبك والد المحروسة زوجة ابنك ؟ . . ثم قالت فى سأم :

– قل . . قل . . دعنا نرى بقية القائمة

– حلمك يا أمينة هانم . . المسألة ليست لعباً . . إنها تأليف وزارة . .

– إنها تأليف ماذا ؟ . .

– وزارة . . تأليف وزارة . .

– وهل هذه وزارة ؟ . . هل هؤلاء وزراء يا ناس ؟ . . هؤلاء لا يمكن أن يُحسبوا آدميين إلا بالعافية . . راغب محجوب هذا الذى ترشحونه للمعارف . . أقسم لكم أنه لا يكاد يعرف القراءة والكتابة . . أليس هو الذى اتهمته جريدة « الكياسة » بأنه غير حاصل على البكالوريا ؟ . .

– يا شيخة هذا خريج حقوق . .

– وهل كل من تخرج فى الحقوق يقرأ ويكتب ؟ . . (قول . . قول) . . أرنى بقية القائمة . .

– لا لزوم إذن . . ما دامت الحكاية سخرية بهذا الشكل . .

فقال سعيد خيرى :

– الرجل يقرأ لك أسماء نرشحها ، فلا معنى لهذا التوبيخ كله . . إنها مجرد اقتراحات . . وكان فى نيتنا أن نفحص كلّ اسم فحصاً دقيقاً ونرشح لكل وزارة من يليق لها . .

فقالت :

– طيب . . ومين للأشغال ؟

– لا . . الأشغال هذه تركناها على جنب . .

فقالت أمينة :

– للمسيو روجيه ؟ . .

فقال سعيد خيرى محتجاً :

– يا ميمى حرام عليك . . هذه ليست طريقة . . لقد طولت لسانك علينا من لحظات ولم أشأ أن أناقشك . . وبعدين ؟ . .

– كل ما حدث أننى سألتك عن وزارة الأشغال لمن حجزتها ؟ . .

– أقول لك بصراحة . . للسراى . .

– السراى طلبت حجز وزارة الأشغال لأحد رجالها ؟ . .

أقصد أن الذى طلب ذلك أمجد بك أبو شنب فضة . .

فقالت :

– طبعاً لأخيه المهندس نهاد . .

– ماله ؟ . .

– حرامى . . وأخوه حرامى . . كلهم شحاذون . . عيلة هلس فى هلس . . الرجال فى الشرب والقمار ، والستات ملحقين فى النادى مثل شلت الكنب . . أمجد بك هذا مراته جلشان هانم مدينة حتى لفراش النادى ، وزوجة نهاد أخيه ست هلس . . اسمع يا سعيد . . لا تحجز له لا وزارة ولا عمارة . . ! هؤلاء الناس الذين يعملون فى السراى كلهم شحاذون صعاليك ، لو علمت السراى بما يعملون لطردتهم . . كلما جاءت وزارة لبس سى أمجد بذلته السوداء التى لا يملك غيرها وعمل أحد أقاربه وزيراً . .

– طيب دعينا من هذا . . نرشح لوزارة الأشغال عضو الحزب المهندس حسين عدلى السيد بك . .

– يعنى . . راجل لا يودى ولا يجيب . . وما الفائدة من مثل هذا ؟

– إذن . . من نرشح ؟

– خذ صديق المسيو روجيه . .

– هذا لص يا أمينة . . هذا يؤدى بنا إلى مصيبة . .

– لا مصيبة ولا نصف . . من قال إنه لص ؟ . . وإذا كان هذا لصًّا ، فمن الذين ترشحونهم غير لص ؟ . .

انظر إلى مصلحتك يا سعيد . . هذه مرة ولن تتكرر . . ماكل يوم يأتيك خطاب تكليف مثل هذا . .

فقال توفيق :

– طيب . . نأخذ صديق المسيو روجيه . . ما اسمه ؟

فقالت أمينة هانم :

– سليمان شكرى . . جوز وديدة هانم بنت سالم باشا البقلى . . الذى نهب الأوقاف . . فقال توفيق :

– يعنى نأخذه أم نتركه ؟

فقالت أمينة :

– نأخذه طبعاً . . إذا تركناه نحن أخذه غيرنا . . نريد ان نسدد ديوننا يا توفيق باشا . . أنت سددت ديونك وأكملت عزبتك ٢٨٠ فداناً قطعة واحدة فى الوزارة الماضية . . وسى سعيد لسه غارق لشوشته فى الدين . . .

– بس يا أمينة هانم . . لا لزوم لهذا الكلام . .

– وعلى فكرة يا توفيق باشا . . أخذت أى وزارة ؟ . .

– الحقيقة . . لا أريد وزارة . . نريد أن نجدد فى تأليف الوزارات . .

– يعنى إيه ؟ . .

– أقصد . . ما رأيكم فى أن أكون نائب رئيس وزراء ؟ . .

– يعنى إيه . . نائب رئيس الوزراء هذا ؟

– يعنى . . يعنى . . نائب . . رئيس . . الوزراء . . (يشير بيديه) يعنى رئيس الوزراء هنا . . ونائبه هنا . .

فقالت ميمى هانم :

– يعنى . . ماذا يعمل ؟ . . رئيس الوزراء وفهمناه ، والوزير وفهمناه ، فقال سعيد :

– بحسب ما فهمناه فى القانون الدستورى رئيس الوزراء لا ينوب عنه أحد إلا إذا مرض وعجز عن العمل فترة من الوقت . .

فقال توفيق :

– وإذا سافر ؟ . .

– دستوريًّا . . يسافر ويكون نائبه رئيس وزراء . .

فقالت أمينة :

– وجوزى لن يسافر أبداً على أى حال . .

–يا إخواننا . . هذه وظيفة معروفة فى البلاد الدستورية . .

قالت أمينة ساخرة :

– الدستورية . . ولكن نحن هنا يا باشوات . . ثم بصراحة كده . . هل أنتم آتون لعمل حكومة دستورية ؟

فقال سعيد باشا :

– ألم أقل لك : إننى سأحل مجلس النواب الزائف الحالى وأجرى انتخابات جديدة ؟ . . نريد أن نرسى الحكم على أسس ثابتة . .

فهزت رأسها فى ضيق شديد وقالت :

– يا سى سعيد . . مالك أنت وهذا المجلس ؟ . . مالنا نضيع وقتنا فى حل

مجلس وعمل انتخابات ؟

فقال سعيد :

– يا أمينة . . هذا المجلس بتاع حزب الأمة . . يعنى كله أمى . . ولن يمنحنا الثقة أبداً . .

– إذن أجله ثلاثة أشهر مثلا . . فى أثنائها نكون أصلحنا أمورنا . . حكاية حل المجلس هذه فكرة السراى ، كل غرضها أننا كلنا نشغل بحل المجالس وعمل الانتخابات ، وهى تجمع الأموال والعزب والأطيان . .

– فقال توفيق :

– يا أمينة هانم . . السراى هى التى أتت بنا ، ونحن حزبها . . ماذا تريدين ؟ . . أن نخالف أوامرها فتقيلنا غداً ؟ . .

فقالت أمينة :

– انظر يا توفيق باشا . . لن نستطيع أن نكسب أى انتخابات ، بل ليس لدينا رجال نرشحهم فى كل الدوائر . . ثم . . من يعرفنا فى هذا البلد ؟ . . والله أنت لو سألت المكوجى الذى على الناصية عن معاليك أو عن دولته لما عرفكم . . سيبنا من هذا الكلام . . نحن نؤجل اجتماع المجلس ، ثم نحاول فى أثناء هذا التأجيل أن نكسب أنصاراً بين النواب ، إذا فشلنا فى ذلك نبقى نحل المجلس . .

– والسراى ؟ . .

– السراى علىّ أنا . . أقول لكم اعملوا كما أقول . . دعك يا سى سعيد من أحلام كسب أغلبية برلمانية وشراء صحفيين وما إلى ذلك من أحلامك القديمة . . نحمد الله على أن هذه الوزارة جاءتك ، وتعال الآن نؤلف الوزارة فإن الوقت يضيع . .

•

فقال سعيد مستنكراً :

– إذن دعينا نحن نرشح . . نحن نعرف الناس أكثر منك . .

– فقالت أمينة :

– سأرشح كما ترشحون . . وإذا لم يعجبكم ترشيحى فلكم أن ترشحوا من تريدون . .

فقال سعيد فى سخرية :

– طيب . . قولى يا ست هانم . . دعنا نرى الوزارة الميمية .

فانفجر توفيق باشا ضاحكاً وأخذ يضرب كفًّا بكف ويقول :

– جميلة هذه والله . . الوزارة الميمية . . (يغرق فى الضحك) . . الوزارة الميمية . . . هذا أجمل ما سمعت . . وزارة ميمى هانم . . الوزارة الميمية الأولى . .

وانتظرت ميمى هانم وهى تنظر إليه نظرة كلها سم وعلى فمها نصف ابتسامة ميتة ، ونفضت رماد سيجارتها على السجادة وقالت فى منتهى القرف والتهكم :

– تضحك هكذا من كل قلبك كأنك سمعت نكتة لم تسمع مثلها قط . . مالها الوزارة الميمية ؟ . .

أليست خيراً من هذه الوزارة الخيرية التى لا تستطيعون تأليفها ؟ . . أليست أحسن من الوزارة السرية إذا شاء حظ هذا البلد الذى مثل الحباب أن يكلفوك تأليف وزارة ؟ . . تسخر من أمينة شلبى جمعة ؟ طيب يا سيدى . . أنا أبى كان وكيل وزارة فماذا كان أبوك ؟ عرضحالجى ! . .

فقال سعيد فى غضب شديد :

– اسمعى يا أمينة . . هذا غير ممكن . . هل أتيت لمساعدتنا أو لمضايقتنا ؟ . .

لقد ضيعت علىّ الوقت وإلى الآن لم تؤلف ولانصف وزارة ، والساعة الآن الثالثة . . .

ثم انتظر لحظة وعاد يقول بهدوء :

– أرجوك يا أمينة . . نريد أن تؤلف الوزارة . .

فقالت ميمى هانم :

– وأنا ماذا أريد أن أعمل ؟ . . ألعب ؟ . .

فقال سعيد :

– طيب نفكر الآن بهدوء ونكمل التأليف

ثم نادى :

– نور . . يا نور . . اعمل لنا قهوة خلينا نروق دماغنا . .

فقالت ميمى هانم لنور :

– سادة يا نور . . قهوتى سادة . . وهات لى علبة سجاير . . سجايرى خلصت . . والله خسارة فيكم وفى وزارتكم . . هذا ما يجيئنى منكم . . الخسارة وتعب القلب . .

وهدأ الجو قليلا فابتسم توفيق باشا وقال :

– الأسماء معروفة . . لماذا نختلف ؟

فقالت ميمى هانم :

– أنا لا يعجبنى راغب محجوب هذا للمعارف . .

– طيب . . عندك أحسن منه ؟ . .

– مثلا . . الدكتور عثمان طنطاوى . . ماله ؟ . . أستاذ جامعى ورجل محترم كله قيمة . . واهواسمه دكتور . .

– بس غبى جداً يا ميمى

– ولماذا تريده ذكيًّا ؟ . . غبى غبى . . كويس كده . . على قدنا وعلى قد السراية بتاعتكم

فقال توفيق :

– محمود سامى الجمل للمواصلات . .

– ده برضه مش بطّال . . وكمان بتاع السراى أليس هذا وكيل البرنسيسة علوية ؟

فقال توفيق باشا :

– أنت لا يخفى عليك شيء يا ميمى هانم . .

فقال سعيد :

– وحسام الدين زكى السواح . .

– كويس . . على قد الشئون الاجتماعية . .

– وجرجس شنودة أبوسيفين . .

– لأى وزارة ؟ . .

– للزراعة . .

– كويس . . أمال انت بإذن الله ماذا تأخذ ؟ . .

– كنت أقول . . مثلاً . . المالية . .

– عفارم عليك . . طبعاً . . أقل منها ؟ . . يا توفيق باشا أنت لا تستطيع أن تقرأ حساب ديون مراتك دولة هانم الله يخليها لك . .

فقال سعيد باشا فى ضيق :

– شوفى بقى يا ميمى . . لن نعود إلى هذا العبث من جديد . . انظر

يا توفيق . . خذ أنت الداخلية ، أنت تعرف فى الإدارة والضبط والانتخابات . . يكفينى أنا الرياسة والخارجية . . معلهش . . الإنسان لازم يضحى فى سبيل الوطن . .

فقالت ميمى ساخرة :

– فعلاً ، وهكذا تضرب مثلاً أعلى فى التضحية . .

فقال توفيق :

– إذن من للمالية ؟ . .

فقالت ميمى :

– أبو المالية فى هذا البلد . . الاقتصادى الكبير . .

فقال سعيد وتوفيق باهتمام وفى صوت واحد :

– من ؟ . .

– يحيى قدرى باشا . .

فصعق سعيد خيرى وكاد فنجان القهوة أن يقع من يده ، ونظر إلى زوجته طويلا ثم قال :

– أمينة هل جننت ؟ . . خصمى وغريمى ترشحينه للمالية ؟ . .

– لا هو خصمك ولاغريمك . . ولكنك أنت لا تريد أن تفهم . .

–هل نسيت المعركة التى كانت بينى وبينه ؟ . .

وأضاف توفيق باشا فى خبث :

– بسببك ؟ . .

فوقفت ميمى هائم وانفجرت تقول :

– بسببى أنا يا سى توفيق والابسبب مقصوفة الرقبة بنتك ؟ . . من التى كانت

تجرى وراءه كالمجنونة تاركة زوجها وأولادها ؟ . . هل ذنبى أننى كنت أثق فيها وأعطيها مفتاح الفيلا بتاعتى ؟ . .

-فيلتك أم فيلة يحيى باشا ؟ . .

- بتاعتى ، وكل الناس تعرف أنها بتاعتى . .

- لكن . . من الذى أعطاك إياها ؟ . .

- الذى أعطى زوج ابنتك مقاولة المدارس

فصرخ سعيد باشا :

- يا اخونا حرام . . اسمعى يا أمينة . . مش ممكن آخد يحيى باشا معى فى الوزارة . . غير ممكن . .

فقالت أمينة :

- يا سعيد كن عاقلا وفكر فى هدوء . . قدرى باشا هو الذى عين ابنك فى الخارجية عندما كان وزيراً . . ثم ألم يتدخل لإيقاف الحجز على أطياننا ؟ . . ألم يحل دون صاحبكم الشيخ تعلب ودخول السجن ؟ . . لماذا لا تذكرون فضله ؟ . . هذا رجل يسند وزارتكم ويقوى مركز حزبكم ؟ . .

فقال سعيد وهو يتصنع الهدوء :

- كل هذا ممكن وجائز . . ولكن الناس لم ينسوا ماكان بينى وبينه . .

- السياسة لا تعرف صداقة دائمة . ولاعداوة دائمة . . السياسة هى السياسة . .

- وصلته بك ؟ . . أنا أعرف أنها إشاعات . . أنا واثق منك . . ولكن الناس يؤمنون بالإشاعات . .

- اسمع يا سعيد . . مهما كان بينى وبينك فأنت زوجى وأنا منك وأنت منى . .

هذه قسمتنا . . صحيح مهببة . . ولكنها قسمتنا ، ولامهرب لنا منها . . وهذه فرصتنا الأخيرة لنصلح حالنا قبل أن يفوت الوقت ، هل تذكركم سنك ؟ . . يا سعيد ، الدنيا على كف عفريت . . وهذه مسألة لا تصدق . . إنك أصبحت صاحب دولة ورئيس وزراء . . لتعمل لكل ما تستطيع لكى تقوى هذه الوزارة . . ويحيى قدرى رجل له وزنه وله ناس كثيرون وعلاقته طيبة بالمندوب السامى وبالسراى ورجال الأعمال . . خذوه للمالية وأنا المسئولة . .

– فقال سعيد خيرى باشا وهو يضرب كفًّا بكف :

– يا أمينة ! عاوزة تفضحينى ؟ . . أنا ويحيى قدرى بتاعك فى وزارة واحدة ! . . أرجوك يا أمينة خلى (الطابق مستور) وكفاية فضائح . .

– فقالت ميمى هانم فى إصرار :

– أطيعونى وخذوه للمالية . .

وكان نور السفرجى قد وضع القهوة أمامهم ووقف صامتاً ينصت وينقل بصره بينهم ، فقال :

– ولا مؤاخذه يا سيدى الباشا . . الهانم عندها حق . . قدرى باشا فى المالية (تمام) . .

فنظر سعيد خيرى إلى السفرجى نور فى دهشة بالغة ثم قال :

– الله ! . . ماهذا ؟ . . أنت سفرجى أم . .

فقاطعته ميمى هانم قائلة :

– أنت لا تعرف (نور) ، ولكنى أنا أعرفه جيداً . . له عندنا شهران لم (تتنازل) سعادتك وتكلمه كلمة ، مع أنه يفهم فى السياسة أكثر من ثلاثين باشا .

فقال توفيق :

– يا ميمى هانم حرام عليك . . . ليس إلى هذه الدرجة . . (فى حدَّة) المسألة جد وليست لعباً . .

فقالت ميمى محتدة :

– ولهذا أنا أقول لكم اسمعوا كلام نور . . لقد قضى تسع عشرة سنة سفرجيًّا عند جلال باشا رفقى الذى كان رئيس وزراء ست مرات . . صدقونى إن (نور) اشترك فى تأليف كل هذه الوزارات ، ويعرف رجال البلد واحداً واحداً . .

– وقال نور :

– ثلاثة بالله العظيم . . كان دولة الباشا الله يرحمه إذا طلبوا منه يعمل وزارة يقول : تعال يا نور أعمل له قهوة على الريحة ونقفل الباب ، ولانخرج إلا والوزارة كاملة . . وكان الله يرحمه السلطان أول ما يشوف لستة الوزراء يسأل : نور شافها ؟ . . أى والله العظيم . . هذه مسائل لا تعرفونها ولا مؤاخذة . . مولانا نفسه لا يتكلم ولا يتسامر إلا مع السفرجية والشماشرجية أمثالى . . منهم يعرف أحوال البلد ويسألهم عن الناس . . هل مولانا مثلا يستدعى واحداً منكم ليسامره يوماً ؟ . . إذن مع من يتسامر ويأخذ ويعطى ويفتح قلبه ؟ معنا نحن . . نحن الذين نعرف الناس والبيوت والأسرار . . والله العظيم ما هناك شىء يتم فى هذا البلد من غير رأى مرغنى شماشرجى مولانا . . إنه يلبسه ويقلعه ومولانا يعرف منه أخبار الدنيا . . لأنه يعيش هناك وحده بعيداً عن الدنيا ومافيها . . إذا رشحوا له وزيراً سأل (مرغنى) ، إذا رشحوا له وكيل وزارة سأل (مرغنى) . .

– فقالت ميمى :

– اسمعوا كلام نور . . إنه يعرف كل شىء عن الوزراء القدامى والوزراء الذين سيكونون . . دعوه يشارككم فى تأليف الوزارة . . بهذا تتجنبون أمثال الشيخ تعلب

المغربى بتاعكم . .

فأبدى نور امتعاضاً شديداً وقال :

– أعوذ بالله . . أعوذ بالله . . هذا شيطان ، إنه مدين لى بنصف ريال . .

فأغرقت ميمى فى الضحك وقالت :

الله يجازيك يا نور . . !

– ثلاثة بالله العظيم أخذ منى نصف ريال ولم يرده ، وعليه لعم على البواب ثمن علبتين سجاير .

فقالت ميمى :

– وترشحونه للوزارة ! . .

فقال سعيد :

– لم يرشحه أحد . .

– طبعاً كنتم ستأخذونه وزير أوقاف ، لولاى أنا ونور . .

فقال سعيد :

– أنا شخصيًّا رفضته قبل أن تأتى . .

– طيب . . نخلص إذن . . خذوا يحيى قدرى للمالية . . اسمعوا منى . .

فقال سعيد خيرى فى حزم :

– لا يحيى قدرى لا . . غير ممكن . .

فنهضت ميمى هانم واقفة وشدت ثيابها عليها وقالت :

– طيب وأنا الأخرى لن أشترك فى تأليف الوزارة . . ما دامت لا تعجبكم الوزارة الميمية فألفوا أنتم الوزارة الخيرية . . وجعتم دماغى وطيرتم عقلى . . !

وسارت على مهل ، وصعدت السلم إلى الدور العلوى ، وأغلق الباب خلفها فى

عنف كما أغلق المرة الأولى فى عنف . .

وأشعل سعيد خيرى سيجارة وقال لتوفيق :

– تعال الآن نفنط القائمة . . فرغنا من ميمى وتعبها . .

فأمسك توفيق سرى بالورقة وقال :

– على راغب محجوب للمعارف . .

فقال سعيد :

– بلاش محجوب ده يا سيدى . . عندها حق . . خذ الدكتور طنطاوى . . رجل له اسم وهو يكتب فى الصحف ومن الممكن أيضاً أن نستفيد منه فى الجريدة . .

– طيب . . ومحمود سامى الجمل للمواصلات . .

– كويس . .

– وحسام الدين زكى السواح للأشغال . .

– لا . . للزراعة . .

– والأشغال ؟ . .

– اكتب المهندس سليمان شكرى . .

– من هذا ؟ . .

– هذا من ناحية روش وشركاه . .

آه . . إذن ؟ . .

فقال له مهدئاً :

– اطمئن . . هذا من مصلحتك . . سيفرضونك أنت أيضاً . .

– أنت تعرف أن الحزب مدين لى بخمسة آلاف جنيه . .

– يا أخى لا تضيع الوقت . . ستأخذها . .

– ممن ؟ . .

– منى أنا . . منى أنا . .

وأخذا يتداولان ويتناقشان ، والأسماء تكتب وتشطب ، والقوائم تسود وتمزق . . وبعد أن انقضى أكثر من ساعة ظهر زكى المسكين على باب الغرفة وقال :

– تليفون من السراى . .

فقال سعيد خيرى لصاحبه :

– هات القائمة الأخيرة . . هات . . وأخذها وأسرع إلى غرفة المكتب ورد بابها خلفه . . ووقف توفيق كمال سرى باشا الوزير الأسبق وتمطى وسار نحو الحمام . .

وبعد لحظات قصيرة خرج سعيد خيرى . . وقف عند الباب محطّماً زائغ البصر . . وسار بخطوات بطيئة متعثرة نحو المقعد الذى كان يجلس عليه ، ثم وقف وتلفت حوله . . ثم ظهر سرى باشا من الحمام ورأى علامات الذهول على وجه صاحبه ، فتقدم نحوه وهو يسأل :

– إيه يا سعيد ؟ . . خيراً . . ماذا هناك ؟ . . ماذا جرى ؟ . .

فقال وكأن الصوت خارج من قدميه :

– الوزارة راحت من يدنا . !

وانهد على الكرسى الوثير ، وأشعل سيجارة فى بطء ، ثم نظر إلى صاحبه وقال :

– لابد أن أحداً وشى بنا . .

– ما الذى حدث ؟ . .

– اتصلت بى السراى الآن . . قالوا إنهم عدلوا عن تكليف حزبنا . .

– يا للكلاب . .

– أجل . . كلاب . . وألف كلاب . . ولكننا نحن أيضاً أولاد كلاب . .

وحنى رأسه لحظة ، ثم رفعه ونظر إلى صاحبه طويلاً وقال له :

– أتعرف من رئيس الوزراء الجديد ؟ . .

– لا . .

– يحيى قدرى . .

– هذا مقلب عمله فينا خصومنا . .

– بل عملته أنا فى نفسى . .

– لقد رشحته لك أمينة من ساعتين . . .

– ليتنى سمعت كلامها . .

– ليتنى سمعت كلام نور . . يا فرحة ما تمت . . خطفها الغراب وطار . . !

وسقط توفيق سرى على مقعده كأنه جدار انهدم . . وتدلى ذراعاه على جانبى الكرسى الوثير وردد فى ذهول :

– يا فرحة ما تمت . . أخذها الغراب وطار . ! من هذا الغراب ؟ . (يهز كتفيه فى يأس بالغ) كلهم غربان . . كلنا غربان ، غراب أسود ، غراب رمادى . . كلنا غربان . . ليس حولنا إلا غربان . . ولا تسمع إلا كاك . . كاك . . كاك . .

وسمع باب الدور الأعلى يفتح ، وتلاه وقع خطوات . . ونظر إلى أعلى السلم . . رأى دخان سيجارة . . وسط الدخان كانت أمينة هانم شلبى جمعة . . ميمى هانم . . أخذت تنزل السلم على مهل . . كل خطوة من قدميها تهز السلم كله . . كانت تنزل بحذر ، فهى لا ترى موقع قدمها لقصر نظرها ، ولكنها لا تريد

أن تلبس نظارة . . لسه بدرى على النظارة . . أخيراً وصلت ووقفت وسط البهو ونظرت إلى زوجها الذى كان قد وقف قرب النافذة ، ثم إلى توفيق سرى ، الحائط المتهدم ، وقالت :

– أنا ذاهبة يا جماعة . .

فقال سعيد خيرى دون اكتراث :

– إلى النادى ؟ . .

فقالت فى تعجب :

– النادى ؟ ! . . البلد مقلوب على بعضه ، وزارة تتألف ، وأذهب إلى النادى ؟ . .

فقال وهو شبه ذاهل ، وقد استند إلى الحائط خشية السقوط :

– إذن . . إلى أين ؟ الوزارة راحت . .

– راحت منك . . لا منى . .

فضحك فى سخرية من نفسه . . ومنها . . ومن الكون كله . .

– راحت منى ، ومنك ، ومن توفيق ومن الشيخ تعلب أيضاً . .

فقالت بحزم :

– قلت لك : إنها ضاعت منك . . لا منى

– ماذا تقصدين ؟ . .

– لقد سخرت منى يا زوجى العزيز ، يا دولة الباشا مع إيقاف التنفيذ . وحضرته (وأشارت إلى توفيق باشا ،) مات من الضحك عندما قلت أنت (الوزارة الميمية) . . هاهى ذى سقطت الوزارة الميمية . الوزارة الميمية الأولى أقصد . . وأنا ذاهبة الآن لتأليف الوزارة الميمية الثانية . .

ونظر إليها لحظات وكأنه لا يفهم . . كانت قد غيرت ثيابها وأعادت ترميم وجهها وتهيأت للخروج ، واتسعت عيناه وقال :

– ذاهبة إلى يحيى قدرى ؟ . .

فهزت رأسها فى أسف وقالت :

– لابد من ذلك ، لابد من الوزارة . .

– هل اتصلت به الآن ؟ . .

فنظرت إلى توفيق وقالت :

– تسمح يا معالى الباشا ؟ . . أريد أن أتحدث مع زوجى . . بينى وبينه أقصد . .

فقال توفيق :

– أنا ذاهب إلى بيتى . .

فقال له سعيد :

– انتظر فى بيتك . . سأتصل بك . . لابد أن أراك الليلة . . لا أستطيع البقاء وحدى هذه الليلة بعد ما حدث . .

وخرج توفيق كمال سرى باشا . . بقيت أمينة هانم (وحيدة) مع زوجها . . نظرت إليه طويلاً وظلت صامتة ، فى طريقها إلى الخمسين شعرت بشىء من الإنسانية . . شعرت أنها زوجة ، ربما للمرة الأولى منذ زواجها من هذا الطامح الكبير الطامع . . لأمر ما شعرت الآن بشىء من الخجل وهى فى طريقها إلى رجل غير زوجها . .

– هل من الضرورى أن تذهبى ؟ . .

– لابد . . نحن غارقون فى الدَّين . .

– وماذا سينفع ذهابك هذا ؟ . .

– سأجعلك وزيراً . .

– لن أقبل عن هذا الطريق . .

– لا بد أن تقبل . .

– وإذا أصررت على الرفض ؟ . .

– ما دمت ستدفع الثمن ، فلماذا لا تأخذ المقابل ؟ . .

– وهل أنت واثقة من أنك سترينه الآن ؟ الناس عندما يصلهم هذا التكليف يصبحون شيئاً آخر . . يغلقون أبوابهم مثلاً . .

– أنا أعرف أين أجده . .

– لقد تغير كل شيء فى نظرى الآن . . لا أريد أن أكون وزيراً ولاخفيراً . . ماحدث اليوم رفع عن بصرى غشاوة كبيرة . . هل يكفى هذا إقناعك بالبقاء ؟ .

– قلت لك لقد دفعنا الثمن ، فلماذا نترك المقابل ؟ . .

– ليتنى أستطيع منعك ؟ . .

– كان ذلك ممكناً من عشرين سنة . .

– تظنين أنه فات الأوان ؟ . .

– ربما أستطيع إدراك شيء . . وباب التوبة مفتوح على أى حال .

– هل وعدك بوزارة لى ؟ . .

– على الأقل – زكى بسيونى التعس سيستفيد من ذلك . .

– أنت تفكرين فى كل شيء إلا زوجك . .

– من غد صباحاً سأفكر فيه . . أنا ذاهبة .

– لا أدرى لماذا أراك الآن كما كنت أراك أيام خطبتك . . وجه جميل . .

وضفيرتان طويلتان . .

– أنت لم ترنى منذ ذلك الحين . . رأيت نفسك فقط . . رأيت أبى وكيل الوزارة . . الحق أنك لم تتزوجنى . . تزوجت شيئاً آخر . . ربما كانت الوزارة . . الطموح غشى بصرك . .

– كان ينبغى أن تسترعى نظرى . .

– كنت طفلة . . ورأيتك تلعب بى ، فلعبت بك . .

– ألا تحسين أنك مسئولة عن شىء مما حدث ؟ . .

– فى الزواج . . الزوج وحده هو المسئول . . هو الرئيس والقائد والزوجة دائماً تتبعه . . الزوجة عندنا دائماً طفلة . . فإذا ضلت الطريق فزوجها هو المسئول . . أنت تعرف كم أحببتك عندما تزوجنا . . كان (جنون) . .

– الآن فقط أشعر كم خسرت . . الآن فقط أعرف أننى لم أكسب شيئاً . . وظائف . . وزارات . . كل هذا عبث . . ابتسامة من زوجة محبة تعدل الدنيا . .

– هل فهمت هذا الآن ؟ . .

– نعم فهمته . .

– الآن دعنى أذهب . .

أرجوك أن تعدلى عن ذلك . .

– عندما أعود نستطيع أن نبدأ من جديد . . ولكن لا بد أن أذهب الآن . . أردت أم لم ترد لا بد أن تصبح وزيراً هذه المرة . . ونقطة ماء لا تزيد البحر . . وكما قلت لك : باب التوبة مفتوح . .

– أحياناً يغلق . .

وفتحت الباب . . كان الليل قد هبط ، والظلام يتراكم فى الخارج . . من

المطبخ أقبل نور وقد لبس ثيابه . . فقالت له :

– إلى أين ؟ . .

– معك . . لكى تؤلف الوزارة . .

فضحكت على رغمها وقالت له :

– لا . . هذه المرة لا يانور . . هذه الوزارة سأؤلفها أنا وحدى . . المرة القادمة المرة القادمة ، وخرجت وأغلقت الباب . سار سعيد خيرى خطوات ، وجلس على أول درجة من السلم المؤدى إلى الدور الأعلى ، هنا قرر أن ينتظر الوزارة . . وزارة الدولة . . عندما تأتى بها زوجته فى أى ساعة من الليل ، ووقف نور مندهشاً وسط البهو ، وقال يحدث نفسه :

– كيف ستؤلف الوزارة وحدها هذه المرة ؟ . . ضاعت السياسة . . لم تعد فى البلد سياسة !

وعندما كانت عند الباب التفتت إلى زوجها وقالت :

– أنت صعبان علىّ يا سعيد . . صعبان علىّ لأنك غبى . . لما قلت لك خذ (يحيى قدرى) للمالية كنت أعرف ماذا أقول . . السراى تريده لأنها فى حاجة لمبلغ كبير . .

– وماذا يمنعها أن تأخذ ما تريد . . أليس الملك هو الكل فى الكل ؟

– طبعاً هو الكل فى الكل . . ولكن لكل شىء أصولاً . . حتى السرقة لها أصول . . والأصول أن السراى عندما تريد أن تسرق تبحث عن رجل يعرف كيف يسرق لها ولنفسه . . ولازم ستار تخفى السرقة وراءه ، كانوا عاوزين يحيى قدرى ولكنهم لا يستطيعون أن يعينوه رئيس وزارة لأن سمعته هباب . . لهذا رشحوك أنت لكى تأخذ يحيى للمالية . . ولكنك لم توافق فغامروا وكلفوه هو تشكيلَ الوزارة . .

– من قال لهم إننى لم أوافق ؟

– أظن نور السفرجى . . اتصل بشماشرجى الملك بسرعة وقال له كل حاجة . . لهذا غيّر الملك رأيه بسرعة .

– وكيف عرفت ذلك ؟ . .

– عندما صعدت إلى غرفتى اتصل بى يحيى بالتليفون . .

– أو أنت اتصلت به . .

– واحد يا سعيد . . أنا ويحيى واحد . . وأنت كمان معانا . . كلنا واحد . . ثم أشعلت سيجارة ومضت تقول :

– أنا لازم أروح دلوقت . . يحيى فى حاجة إلىّ فى تأليف الوزارة . . لا تحزن ستدخل الوزارة . . يحيى يرشحك للمالية . .

– فدهش الرجل دهشة بالغة وقال :

– لكى أسرق لكم ؟ . . لكى أسرق ليحيى وللسراى ! . .

فربتت على خده وقالت والسيجارة فى فمها :

– واحد يا حبيبى واحد . . كلنا واحد . . أنا وأنت ويحيى والسراى والمندوب السامى واحد . . فابتسم وقال فى مرارة :

– وكمان المسيو روجيه !

– وماله ؟ . . الراجل دفع مقدماً . . ماذا تريد منه ؟ . .

– لا . . لا شىء . .

– سعيدة بقى . . اطمئن . . المالية لنا . .

وشدت ثوبها على جسدها الضخم وخرجت لتؤلف الوزارة الميمنّية الثانية . .